

الأساقفة الكاثوليك القادمين من مختلف أنحاء العالم، ملتئمن في المجمع المسكونيّ

الفاتيكانيّ الثاني بكنيسة القديس بطرس، يتجادبون أطراف الحديث في انتظار بدء الجلسة. وفجأة خيم عليهم صمت مُطبّق إذ دخل البطريّرك الملّكيّ الطيّب الذاكر، مكسيموس الزابع الصّائغ، بطلعه المهيبه، يرتدي الجبة السوداء، وتغطّي رأسه القلنسوة واللاطية، وعلى صدره إيقونة بيزنطيّة مع صليبين. وما ان اعتلى المنبر ليخطب في آباء المجمع، حتّى نحض الكاهنان اللذان يمثّلان الكنيسة الأرثوذكسيّة الروسيّة وكشفا عن رأسهما، ولما سئل أحدهما وهو الأب المتقدّم في الكهنة فيتالي بوروفوي عن سبب ذلك أجاب:

"إذا تكلمّ البطريّرك أصغينا إلى كلامه بالاحترام الواجب لكلام الإنجيل. لذا وقفنا ونزعنا الغطاء عن رأسينا."

فما معنى لقب البطريّرك الذي يستوجب ذلك الإجلال؟ وما المهامّ التي يضطلع بها حَمَلَة هذا اللقب السّامي في الكنيسة؟ وكيف نشأ اللقب؟ ولماذا معظم أبناء الكنيسة اللّاتينيّة يكادون يجهلون كلّ شيء عن مقام البطارقة الشّرقية؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، لا بدّ لنا أن نعود بالفكر إلى عهد طفولة الكنيسة ومهدّها.

المرجّح أنّ الرّسل، أسوةً بالسيد المسيح، بدأوا التّبشير بالإنجيل أوّلاً بين اليهود. وكانت الجاليات اليهوديّة وقتئذٍ منتشرة في مختلف أرجاء العالم الرّومانيّ. وكانوا يميلون إلى

التجمّع في المدن الكبرى ولا يزالون على عادتهم في عصرنا هذا. لذا ركّزت الكنيسة تبشيرها في المدن الكبرى، إلى حدّ أن ساكن الرّيف، المسمّى "paganus" باللّاتينيّة، أصبح يعني "وثنيًا".

النظام البطريّركيّ الخماسيّ (Pentarchy)

وكانت

الكنيسة، بعد الانتشار في المدن الرئيسيّة، تنطلق منها إلى الأرياف لتأسيس كنائس فرعيّة فيها. وبطبيعة الحال أخذت كلّ كنيسة فرعيّة ريفيّة تعتمد على الكنيسة الأمّ في المدينة، لتلتئم منها التّوجيه والمعونة. وكانت الكنيسة الأمّ تُدعى باليونانيّة "المدينة الأمّ" (Metropolis). من هنا لقب "المتربوليت" الذي يجمّله رئيس الأساقفة.

ومع مرّ السنين، برزت إلى حيّز الوجود خمس كنائس كبرى تتمتّع بمكانة مرموقة خاصّة، نظرًا لأهميّتها المدنيّة، ولارباطها المباشر بتبشير الرّسل، لا سيّما القديس الرّسول بطرس. فأطلقوا عليها اسم "النظام البطريّركيّ الخماسيّ". وهي رومة و القسطنطينيّة والاسكندريّة وأنطاكية وأورشليم. ولما كانت الكنيسة الرئيسيّة تُدعى "الكنيسة الأمّ"، صاروا يسمّون راعيها الدّيني "الرئيس الأب". وهذا ما يعنيه لقب Patriarch.

باشر القديس بطرس التبشير بالإنجيل في أورشليم ومنها انتقل إلى أنطاكية. أمّا الاسكندريّة فينسب التّقليد تبشيرها إلى مرقس، تلميذ القديس بطرس. ويفيد تقليد عريق أنّ أندراوس، شقيق القديس بطرس، هو الذي بشر القسطنطينيّة بالمسيح.

وكان بطريّرك كلّ من المدينتين الرّئيسيتين، رومة

والاسكندريّة، يُلقّب "بابا". ولا يزال هذا اللقب ينطبق في عصرنا على بطريّرك الاسكندريّة القبطي. ولهذا السّبب لا يزال المسيحيّون في الشّرق الأدنى يقولون "بابا رومة" بدلا من "بابا" فقط، تمييزًا له عن أخيه "بابا الاسكندريّة".

البطارقة الشّرقية في عصرنا

لكن

مع مرور الرّمن تصدّعت وحدة الكنيسة. ففي القرن الخامس انفصلت الكنيسة

الآشوريّة بسبب الخلاف التّسطوري. وتلا ذلك في القرن ذاته خلاف بين الكنيستين اليونانيّة واللّاتينيّة من جهة، والكنيستين القبطيّة والسّريانيّة من جهة أخرى بسبب مجمع خلقيدونية الذي أيّده الطرفان اللّاتينيّ و اليونانيّ، بينما عارضه الجانبان الآخران.

وفي القرن الحادي عشر اختلفت الكنيستان اللّاتينيّة واليونانيّة بدورها. فتمّ بذل جهود كثيرة في القرون الوسطى لإعادة الشّركة بين عدد من الفئات الشّرقية والكرسي الرّومانيّ، لكنّها لم تُفلح. وعلى الرغم من الانقسامات، فقد حافظت الكنائس الشّرقية على نظامها البطريّركيّ حتّى بعدما استأنف بعضها الشّركة مع الكرسيّ الرّومانيّ.

لذا نجد الآن خمس كنائس يستخدم كلّ من رؤسائها لقب "بطريّرك أنطاكية". وهم: الرّوم الكاثوليك، والرّوم الأرثوذكس، والموارنة، والسّريان الكاثوليك والسّريان الأرثوذكس.

وفي الاسكندريّة حاليًا ثلاثة بطارقة: القبطيّ الأرثوذكسيّ، والقبطيّ الكاثوليكّي، واليونانيّ الأرثوذكسيّ. زد على ذلك أنّ البطريّرك الأنطاكيّ الملّكيّ يحمل أيضًا لقب بطريّرك الاسكندريّة وأورشليم. وهناك جماعات مسيحيّة آشوريّة وكلدانيّة وأرمنيّة

البطريرك: أب ورئيس



مكتب الخدمات التربوية
لأبرشية نيوتن الملكية
<http://mekite.org/>

حقوق نشر وطبع الصور محفوظة
لمجلة صوفيا، ليوميات أبرشية نيوتن الملكية

قائمة البطارقة الملكيين

1724-1759 كيرلس السادس (طاناس)

1759-1760 أناسيوس الرابع جوهر - الولاية الأولى

1760-1761 مكسيموس الثاني حكيم

1761-1788 ثاوذوسيوس الخامس دهان

1788-1794 أناسوس الرابع جوهر - الولاية الثانية

1794-1796 كيرلس السابع سياج

1796-1712 أغابوس الرابع مطر

1812-1812 إغناطيوس الرابع صروف

1813-1814 أناسيوس الخامس مطر

1814-1815 مكاربوس الرابع طويل

1816-1833 إغناطيوس الخامس قطان

1833-1855 مكسيموس الثالث مظلوم

1856-1864 أكليمنضوس بوث

1864-1897 غريغوريوس الثاني يوسف - سيور

1898-1902 بطرس الرابع جريجيري

1902-1916 كيرلس الثامن جحا

1919-1925 ديميتريوس الأول قاضي

1926-1947 كيرلس التاسع مغيب

1947-1967 مكسيموس الرابع الصائغ

1967-2000 مكسيموس الخامس حكيم

2000-2017 غريغوريوس الثالث لحام

2017 إلى الزمن الحاضر يوسف العبيسي

في أوضاع مماثلة.

واعترف المجمع الفاتيكاني الثاني بالبطريك أباً ورئيساً

لكنيسته، يُشرف على إدارتها مع مجلس الأساقفة

(السينودس). كما يقوم البطريك بدور الحكم في الشؤون

الليترجية والإدارية لكنيسته المنتشرة في شتى أنحاء العالم.

وفي غضون الألف سنة الماضية، كانت بطريركية الغرب

منفصلة عن الكنائس الشرقية الحقيقية، مما أدى إلى

انطماش الدور الثنائي الذي يقوم به بابا رومة باعتباره

بطريركاً للغرب والأول بين جميع رؤساء الكنائس. فبابا

رومة هو بطريك الغرب. وإذا أدخل إصلاحاً ما على

ليترجية الكنيسة الغربية، أو قواعد الصوم والقطاعة أو

قانون الزواج، فهو إنما يعمل بحكم سلطته البطريركية على

الكنيسة الغربية الرومانية. أما في الكنائس الشرقية، فيقوم

بطريك كل كنيسة بهذه المهام، يساعده في ذلك مجلس

أساقفته (السينودس).

ولما كان المجمع الفاتيكاني الثاني قد أقرّ الإحياء الكامل

للمنصب البطريركي في الكنائس الشرقية، وفقاً لما كان عليه

في الألف الميلادي الأول، حق لنا أن نتوقع ازدهار النظام

البطريركي الخماسي في تلك الكنائس العريقة في القدام و

استئنافه للدور الذي كان يقوم به قبل الانفصال. غير أن

ذلك لن يتم للكنائس الشرقية ما لم تُعد إلى تقاليدنا

العريقة، مهما كلفتها العودة من جهد ومشقة.

عن مقالة نشرت أصلاً

في مجلة نيرايست الكاثوليكية الإصدار العاشر العدد الثالث

(خريف 1984) أعيد الطبع بالإذن